إجراءات الخليفة المعتضد بالله السياسية والاقتصادية والإدارية في الموصل وإقليم الجزيرة (٢٧٩-٢٨٩ هـ/ ٨٩٢-٩٠١م)

د. احمد اسماعيل عبدالله الجبوري
جامعة الموصل / مركز دراسات الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٦/٥/٢٣ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٦/٧/٢٦

ملخص البحث :

تبين لنا من خلال البحث الموسوم ((إجراءات الخليفة المعتضد بالله السياسية والاقتصادية والادارية في الموصل وأقليم الجزيرة (٢٧٩-٢٨٩ هـ/٨٩٢-٩٠١م))) ان الخليفة المعتضد بالله كان من بين الخلفاء الأقوياء الذين حكموا في العصر العباسي الثاني، والذي استطاع ان يعيد هيبة الخلافة العباسية بعد أن شارفت على السقوط بيد الأتراك.

فأول ما قام به هو محاربة الخارجين عن السلطة في أي مكان من الدولة العربية الاسلامية، فكان نصيب مدينة الموصل والجزيرة هو القضاء على أحد قادة الخوارج في عصره وهو هارون الشاري الذي استغل بعد مدينة الموصل والجزيرة عن مركز الخلافة وضعف الدولة فسيطر على المنطقة وطرد عمال الخلافة وقام بجباية ضريبة الخراج منهم فقاد الخليفة بنفسه ثلاث حملات الى الموصل توجت بالقبض عليه وساد الأمن والرخاء فيها.

ومن ألمع القرارات التي اتخذها الخليفة المعتضد بالله وهو في مدينة الموصل هو تأخير جباية ضريبة الخراج التي تسمى "النيروز" الاول من آذار الى الحادي عشر من حزيران من كل سنة، وكتب بذلك الى كل أقاليم الدولة العربية الإسلامية وسمي بذلك "النيروز المعتضدي".

وبهذا القرار رفع الظلم عن الناس والفلاحين بصورة خاصة، وحقق لهم الرفاه وجنوا من جراء ذلك مزيداً من الأرباح ورُفع عنهم الظلم والحيف الذي كان يصيبهم في العصور السابقة، وذلك لأن المحاصيل لم تنضج بعد ولم يحين وقت حصادها، وبالتالي كان يضطر قسم من الفلاحين الى ترك مزارعهم والهجرة الى مناطق أخرى أو اللجوء الى "الضمان: وهو بيعها لأحد الموسرين مقابل دفع الضريبة، فكان أول المبتهجين بهذا القرار هم أهل الموصل والجزيرة، وذلك لما هو معروف عنهم بأنهم مزارعين من الطراز الأول وأغلب مناطقهم ديمية تعتمد على الأمطار وأهمها محصولي الحنطة والشعير، وكانت أغلب ميرة أهل العراق من الموصل والجزيرة.

The Political, Economical and Management Procedures of Al-Mu'tadid Bellah Caliph in Mosul and Jazeera Province “279 -289 A.H./ 892 – 901 A.D’

Dr. Ahmed Ismaeal Abdull Alhabory
University of Mosul - College of Islamic Sciences

Abstract:

The graceful research showed ((The Political, Economical and Management Procedures of Al-Mu'tadid Bellah Caliph in Mosul and Jazeera Province “279 -289 A.H./ 892 – 901 A.D’)). The study about political, economic and educational cases.

Al-Mu’tadid Bellah caliph was one of the strong caliphs who ruled during the second Abbasy age, and he could retune the Abbasy caliphate prestige, when it was about to fill to in the Turkish authority.

Firstly he fight the people who aren't observe the authority, and who were separating in all the state regions whether east or west. That in Mosul city and Jazeera province, he arrested the largest leaders of his age Harun Al-Shary, who wasn’t observe the authority and exploded the far distance of Mosul city and Jazeera province from the caliphate center and the state weaken, that he controlled the region and bounced the caliphate workers and collected the land tax from them and injustice them. Therefore, the caliph led three attaches to Mosul, which are ended with arresting him, and the security with satisfy separated there.

And from the most important decisions that Al-Mut'adid Bellah caliph issued, was delay the collecting of land tax, which was name "Al-Mutathedy Yezuz", from March to 11th June in every year, in Mosul city.

This decision removed the injustice from the people and from the farmers especially, and achieved the comfortable. That, they earned more gains, because the uncomfortable and despotism of the past ages are removed, for in the past the yield wasn’t ripen and it is early to pick. Therefore, part of the farmers obligate to leave their farms and emigrate to another regions or resort to "insurance" by selling the farms to the rich people to pay the tax.

The first who welcomed this decision were Mosul and Jazeera province people, for as it is known, that they are farmers of the first degree and most of their farmers depend on rain, and from the most famous of their yield were wheat and barley, and most of Iraqi people provision was from Mosul and Jazeera province.

المقدمة:

يعد العصر العباسي الثاني في نظر المؤرخين القدامى والمحدثين عصر ضعف الخلافة وسيطرة الاتراك، ومن بين اسباب ذلك هو وصول خلفاء ضعفاء مقارنة بخلفاء العصر العباسي الاول ومن سبقهم في العصر الاسلامي.

وهنالك من يعزو هذا الضعف في مؤسسة الخلافة لاسباب عديدة ومن بينها الاسباب الدينية في الابتعاد عن العمل وفق ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسلف الصالح.

ومما يعزز هذا الرأي حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم ان من بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن)، قال عمران بن حصين(١) رضي الله عنه فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة(٢).

فان كان الخلفاء على خير دلّ ذلك على خير المجتمع وحسن المعتقد، واذا كان الخلفاء على سوء دل على سوء المعتقد، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم يذكر لنا خيرية القرون من بعد قرنه، والواقع ان الضعف بدأ بعد مقتل الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م على يد الاتراك، ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن بعد ذلك افراد اخيار بل كان هنالك افراد اخيار كثيرون لكن في خضم واسع ممن هم دونهم(٣).

كان خلفاء اخيار غير انهم قلة بين من هم اقل منهم، فالخليفة المعتضد بالله ٢٧٩-٢٨٩/٨٩٢-٩٠١م مثلا شبّه من قبل بعض المؤرخين بالخليفة عمر بن عبدالعزيز، وممّا ذكر عنه انه كتب من ارض الموصل الحدباء الى كافة اقاليم الدولة العربية الاسلامية بتاخير النيروز (الذي هو موعد جباية الخراج من بداية السنة الفارسية التي تصادف الاول من اذار من كل سنة الى الحادي عشر من حزيران رحمة بالعباد ورأفة بالرعية والمزارعين وتحقيقا للعدل(٤). يتكون البحث من المحاور الآتية :

اولا. لمحة عن عصر الخليفة المعتضد بالله.

ثانيا. الموصل واقليم الجزيرة في عصر الخليفة المعتضد بالله.

---

(١) عمران بن حصين: بن عبيد، ابو نجيد الخزاعي، من علماء الصحابة، اسلم عام خيبر سنة ٧ هـ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، له في كتب الحديث ١٣٠ حديثاً. الذهبي، تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٨؛ الزركلي، الاعلام، ٥/ ٧٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٦٥٠.

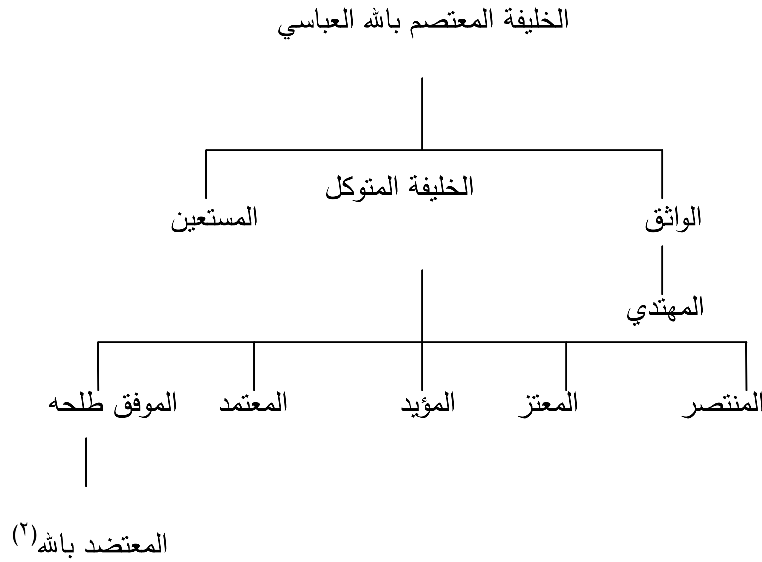
(٣) محمود شاكر، خلفاء العصر العباسي الثاني، ص ٥٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ١٠/٣٩.

١. الإجراءات السياسية.
٢. الإجراءات الاقتصادية.
٣. الإجراءات الإدارية.

اولاً. لمحة عن عصر الخليفة المعتضد بالله

هو ابو العباس احمد بن الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد الملقب بالمعتضد بالله(١).



وجدّد الخليفة المعتضد بالله ملك بني العباس، لان الدولة العباسية ضعفت وكادت ان تزول لسيطرة الاتراك عليها بعد مقتل الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م وبعدها فترة الفوضى العسكرية التي استمرت من ٢٤٧-٢٥٦هـ/٨٦١-٨٦٩م) وسميت "فترة العشر سنوات" وكادت فيها الخلافة ان تزول(٣).

كان الخليفة المعتضد بالله مشهوراً بالقوة والصرامة، وتمكن من اضعاف الفتن في عصره، وساد الأمن والرخاء بعد الاضطراب والضعف(٤).

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٩؛ محمود شاكر، خلفاء العصر العباسي الثاني، ص ٢٥.
(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٩-٢٧٠.
(٣) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٦٢٣؛ اليعقوبي، تاريخ: ٣/ ٢١١-٢١٦؛ فاروق عمر فوزي، عصر الفوضى العسكرية، ص ٣٢-٣٤.
(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٩.

وفي ذلك قال ابن المعتز[1]:

أمـــا تـــرى ملـــكَ بنـــي هاشـــم عـــاد عزيـــزاً بعـــد مـــا ذلـــلاً

يـــا طالبـــاً للملـــكِ كـــن مثلـــه تســـتوجب الملـــك والا فـــلا[2]

وحارب الفلاسفة واقر ان لا يقعد في الطريق منجم ولا قصّاص ونودي بهذا في بغداد، ومنع الورّاقين من بيع كتب الفلاسفة والجدل وعلم الكلام[3]، خشية ان يقع الناس في الفتن كما حدث في عصر الخليفة المامون ايام "فتنة خلق القران"[4].

في سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م كتب الى الافاق بان يورث ذوو الارحام[5]. وان يبطل ديوان المواريث، وفي السابق كان فقط يورثون ذوو الفرائض[6]. وفيها كثر الدعاء للخليفة المعتضد بالله[7].

وحارب القرامطة[8] في البحرين بقيادة ابي سعيد القرمطي الذي قام بقلع الحجر الاسود من مكة، وحارب جيوش الخلافة وتمكن من الوصول الى اطراف مدينة البصرة والحق هزائم بجيوش الخلافة، ثم بعدها تمكن الخليفة من الانتصار عليه وهزيمته وملاحقته في اليمن والعراق وابعاده الى الخليج العربي[9].

---

(١) ابن المعتز : عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ابو العباس (ت ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩م) الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد واولع بالادب وصنف عدة كتب منها (البديع)، (الجوارح والصيد). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ١٠/ ٩٢، الزركلي، الاعلام: ١١٨/٤.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٩-٣٧٠.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٨/ ٦٣١-٦٣٢؛ احمد اسماعيل عبدالله الجبوري، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الاول، ص ٢١.

(٥) ذوو الارحام: وهم عند علماء المواريث القرابة الذين ليسوا بذوي سهام مقدرة ولا عصبة ذكوراً كانوا ام اناثاً، التهانوي، كشاف اصطلاح الفنون : ٣/ ٥٨٩.

(٦) ذوو الفرائض: وهم عند علماء المواريث الورثة الذين لهم سهام مقدرة في الكتاب والسنة والاجماع، التهانوي، التهانوي، كشاف اصطلاح الفنون : ٥/ ١١٢٦-١١٢٧.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٤٦/١٠-٤٧.

(٨) القرامطة: نسبة الى قرمط كان لقباً لحمدان بن الاشعث زعيم قرامطة جنوب العراق، ومعناها في اصلها النبطي احمر العينين، ابن منظور، للسان العرب؛ فاروق عمر فوزي، نشاة الحركات السياسية الدينية في الاسلام، ص ٢٢١.

(٩) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣١٩؛ محمود شاكر، خلفاء العصر العباسي الثاني، ص ٢٨٣.

اما العلاقة مع الروم في عصره فاستمرت على شكل غارات من اجل المحافظة على الثغور لكي لا يطمع الاعداء فيهم، واستمرت الغزوات التي يطلق عليها الصوائف والشواتي[١].

توفي الخليفة المعتضد بالله سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م، وهو لا يزال شاباً في الاربعين من عمره[٢]، فرثاه ابن المعتز بقصيدة رائعة، بينت صفاته وقوته، وازدهار عصره:

يا دهر ويحك ما ابقيت لي احداً ... وانت والدا سوء تاكل الوالدا
استغفر الله بل ذا كله قدر ... رضيت بالله رباً واحداً صمداً
يا ساكن القبر في غبراء مظلمةٍ ... بالظاهرية مقصى الدار منفردا
اين الجيوش التي قد كنت تشحنها ... اين الكنوز التي لم تحصها عددا
اين السرير الذي قد كنت تملؤه ... مهابة من راته عينه ارتعدا
اين القصور التي شيدتها فعلت ... ولاح فينا سنا الابريز فاتقدا
قد ابقوا كل مرقال مذكرة ... وخباء تنثر اشداقها الزبدا[٣].

ثانياً. الموصل وأقليم الجزيرة في عصر الخليفة المعتضد بالله :

١. الوضع السياسي:

يبدو ان الوضع السياسي في منطقة الموصل والجزيرة في بداية عصر الخليفة المعتضد بالله كان غير مستقر، ويظهر فيه الخوارج بين فترة واخرى، مستغلين بذلك بعد المنطقة الجغرافي عن مركز العاصمة بغداد من جهة، وضعف الخلافة وتغلب الاتراك عليها في الفترة السابقة من جهة اخرى، ومن اجل العمل على استقرار المنطقة نلاحظ ان الخليفة المعتضد بالله توجه الى المنطقة بنفسه في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م، قاصداً بذلك منازل بني شيبان الذين كانوا يثيرون قلق الخلافة ويقفون مع الخارجين عليه متخذين من أرضِ الجزيرة معقلاً لهم، وعند وصولهم الخبر ضموا اموالهم وعيالهم وحاولوا الهرب، لكن الخليفة تمكن من مباغتتهم في منطقة السن[٤]. فقتل عددا كبيرا منهم وغرق القسم الاخر في الزابين، وسبى النساء والاموال وغنم جيشه غنائم كثيرة من الاموال والغنم والابل وكثر في ايدي الناس حتى بيعت الشاه بدرهم والجمل بخمسة دراهم ثم

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ١٠/ ٤٦؛ محمود شاكر، خلفاء العصر العباسي الثاني، ص ٢٧٠-٢٧١؛ موفق سالم نوري، العلاقات العباسية البيزنطية، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٨٦/١٠.

(٣) ديوان ابن المعتز: ٢/ ١٢٠.

(٤) السن : يقال لها بارما مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير ومن اهلها علماء وفيها كنائس وبيع للنصارى وعند السن مصب الزاب الاسفل، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٣/ ٢٦٨-٢٦٩.

مضى المعتضد الى مدينة الموصل، وبعدها الى مدينة بلد(١)، وعاد الى بغداد، وفي اثناء عودته لقيه بنو شيبان يسألونه الصفح والعفو عنهم، فاخذ منهم خمسمائة رجل كرهائن حتى لا يعودوا مرة اخرى للخروج على الخلافة(٢).

وعاد الخليفة المعتضد بالله الى الموصل والجزيرة مرة اخرى في سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م، وذلك لوصول خبر اليه بان حمدان بن حمدون(٣). قد تعاطف مع هارون الشاري الخارج عن الخلافة ودعاله(٤).

ويذكر ان الأعراب والاكراد لما بلغهم خروج الخليفة المعتضد بالله اليهم تحالفوا ان يقتلوا على دم واحد، ولم تسعفنا المصادر في ذكر الاسباب الحقيقية لذلك ولكن من خلال الاحداث يظهر انهم كانوا من الخوارج. واجتمعوا وعبئوا عسكرهم ثلاثة كراديس(٥)، كردوساً دون كردوس، ويبدو انهم كانوا في الجانب الشرقي من الموصل وبالقرب من الزاب الكبير(٦) وجعلوا عيالهم واموالهم في اخر كردوس، وتقدم الخليفة المعتضد بالله بجيشه في خيل جريدة(٧) فاوقع بهم وقتل عددا كبيرا منهم، وغرق قسم كبير منهم في الزاب ثم اتجه بعدها الخليفة المعتضد بالله الى مدينة الموصل ومن ثم الى قلعة ماردين(٨) التي كان يسيطر عليها حمدان بن حمدون، فلما بلغه وصول الخليفة المعتضد بالله هرب وخلّف ابنه بها، ونزل جيش الخليفة المعتضد بالله على القلعة وحاربهم من كان فيها، وفي الصباح ركب الخليفة وصعد ومن معه حتى وصل الى باب القلعة "ثم صاح باعلى صوته، يا ابن حمدون، فاجابه: لبيك، فقال له: افتح الباب، ويلك! ففتحه فقعد

---

(١) بلد: وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينها سبعة فراسخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٤١١/١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٣٢/١٠-٣٣.

(٣) حمدان بن حمدون: بن الحارث التغلبي الوائلي، ثم عدنان: جد بنوه "بنو حمدان" ملوك الجزيرة والموصل وحلب في العصر العباسي منهم سيف الدولة الحمداني صاحب حلب واكثر الشام وديار بكر، وابو فراس الشاعر واخرون؛ الزركلي، الاعلام: ٢٧٤/٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٣٧/١٠.

(٥) كراديس: الكردوس الخيل العظيمة، وقيل القطعة من الخيل العظيمة، والكراديس، الفرق، ويقال كردوس القائد خيله أي جعلها كتيبة. كتيبة او الكراديس : كتائب الخيل. ابن منظور، لسان العرب : ٦/ ١٩٥.

(٦) الزاب الكبير: ويسمى الزاب الاعلى بين الموصل واربيل، ويسمى ايضاً بالزاب المجنون لشدة جريانه، انظر انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١٢٣/٣.

(٧) خيل جريدة: لا رجالة فيها، وكذلك الجماعة من الخيل وتسمى ايضاً خياراً وشديدة من الخيل، ابن منظور، لسان العرب : ٣/ ١١٨.

(٨) ماردين: قلعة مشهورة على جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وامامها ربض عظيم فيه اسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط، انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٥/ ٣٩.

الخليفة المعتضد بالله في الباب وامر من دخل فنقل ما في القلعة من اثاث ومال، ثم امر بهدمها فهدمت"(١).

وطلب بملاحقة حمدان بن حمدون، وصودرت امواله المودعة وسلمت الى الخليفة المعتضد بالله(٢).

اتجه بعدها الخليفة الى مدينة تسمى "الحسنيّة"(٢٩٣) حيث ذكر له رجل يقال له "شدّاد"(٣٠٤). في جيش كبير يبلغ تعداده حوالي عشرة الاف رجل وكان له قلعة في المدينة، فقبض عليه الخليفة المعتضد بالله ثم هدم قلعته(٥).

وفي سنة ٢٨٢هـ/٨٥٩م استمر الخليفة المعتضد بالله في البحث عن حمدان بن حمدون وارسل وصيف موشكير في طلبه، وكان هو في منطقة تسمى "باسورين"(٦) بين نهر دجلة ونهر اخر لم يسمه الطبري، وكان الماء في وقت فيضان، فعبر اصحاب وصيف اليه ودارت معركة بين الطرفين تكبدوا فيها خسائر كبيرة، تمكن بعدها حمدان من الهرب في زورق كان معداً له في نهر دجلة ومعه كاتبه النصراني يدعى "زكريا بن يحيى"(٧) وحمل معه مالاً وعبر الى الجانب الغربي من دجلة من ارض ديار ربيعة"(٨) واستطاع اللحاق بالاعراب بعد انقطاع الاتصال بينه وبين جماعته من الاكراد في الجانب الشرقي، وعبر خلفه نفر من الجيش وتتبعوا اثره حتى اشرفوا على دير كان قد نزله فعلم بهم فهرب هو وكاتبه وتركوا المال فحمل الى الخليفة المعتضد، وتمكن بعدها من الهرب إلى ضيعة له شرقي دجلة، وبعدها سار ليلاً حتى وصل الى مضرب اسحاق بن ايوب في جيش الخليفة المعتضد بالله مستجيراً به، فاحضره اسحاق الى مضرب المعتضد وامر بالاحتفاظ به(٩).

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٣٨/١٠.

(٢) المصدر نفسه : ١٠/ ٣٨.

(٣) الحسنيّة: منسوبة إلى الحسن، بلد في شرقي الموصل على يومين، بينها وبين جزيرة ابن عمر، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٢٦٠/٢.

(٤) شداد: لم اعثر له على ترجمة.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٣٩/١٠.

(٦) باسورين: ناحية من اعمال الموصل شرقي نهر دجلة، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ١/ ٣٢٢.

(٧) زكريا بن يحيى: لم اعثر له على ترجمة.

(٨) ديار ربيعة: بين الموصل إلى راس العين بقعاء الموصل ونصيبين وراس عين ودنيسر والخابور، جميعه وما وما بين ذلك من المدن والقرى وربما جمع بين ديار ربيعة وديار بكر، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٢/ ٤٩٤.

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٤٠/١٠.

وفي سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م توجه الخليفة المعتضد بالله الى الموصل للقبض على الخارجي هارون الشاري، فوجه الخليفة الحسين بن حمدان بن حمدون في جماعة من الفرسان والرجالة من اهل بيته وغيرهم من اصحابه، وشرط الحسين بن حمدان على الخليفة المعتضد بالله في حال نجاحه في القبض فان لديه ثلاث مطاليب من الخليفة، الاول اطلاق سراح ابيه والاثنين بعد القبض عليه، ولم تشر المصادر عن ماهية هذين المطلبين، فوافق الخليفة المعتضد بالله على ذلك وارسل معه موشكير مع ثلاثمائة فارس، وشرط الحسين بن حمدان على الخليفة ان لا يخالفه موشكير فيما يأمره به فوافق على ذلك(١).

وسار الحسين بن حمدان في طلب هارون الشاري حتى وصل الى "مخاضه" في نهر دجلة بالقرب من مدينة الموصل، (والمخاضة هي ان يكون منسوب الماء الجاري فيها غير عميق بحيث يمكن للفارس ان يعبره وهو راكب فرسه او دابته او ينزل منها ويعبر ماشياً بحيث لا يغطيه الماء).

وعرف الحسين بن حمدان بان هارون الشاري لا يمكن العبور من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي الا من هذا المكان لان منسوب الماء عميق وقوي في النهر في المناطق الاخرى فامر وصيف بان يبقى في كمين عند المخاضة وهو يذهب لقتال هارون الشاري فاذا هرب سوف يأتي من هذا الطريق ويتم القبض عليه. وسار الحسين بن حمدان في طلب هارون فوجده فالتقيا في معركة فانهزم هارون الشاري واقام وصيف عند المخاضة ثلاثة ايام، فنصحه اصحابه بالسير خلف الحسين بن حمدان وعدم البقاء في هذا المكان الذي كان يبدو مكانا صحراوي وسئموا من الانتظار ومسالة اخرى هي مشاركة الحسين بن حمدان في القبض عليه والفوز بالجائزة وعدم ترك الحسين بن حمدان ينفرد لوحده بذلك(٢).

فوافقهم على ذلك وترك الموقع الذي حدد له الحسين بن حمدان، فجاء هارون الشاري من المخاضة نفسها وعبر باتجاه احد الاحياء العربية في الجانب الغربي من مدينة الموصل وتبعه الحسين بن حمدان فلم يجد وصيف ولا هارون الشاري، فعلم انه عبر من هذا المكان واخذ يسال ويتحرى من العرب الموجودين، فعلم انه اخذ دوابهم وترك دوابه لانها تعبت وارهقت، وبعد ثلاثة ايام تمكن من الوصول اليه ومعه ما يقارب المائة من اتباعه، فدارت معركة بينهما تمكن بعدها الحسين بن حمدان من القبض عليه واخذه الى الخليفة المعتضد بالله وفاز بما كان يريد واطلق سراح ابيه حمدان بن حمدون والاحسان اليه(٣).

---

(١) المصدر نفسه: ٤٣/١٠.
(٢) المصدر نفسه: ٤٣/١٠.
(٣) المصدر نفسه: ٤٤/١٠.

ومدح أبن المعتز الخليفة المعتضد بالله عند خروجه الى الموصل لمحاربة هارون الشاري وعودته سالماً الى بغداد:-

كفـــى حَزنـــاً انـــي بقـــولي شاكـــرٌ لغيـــري وتخفـــى بعـــد ذاك الحقـــايق
وَجَـــــلَ فمـــا أجزيـــه إلا بشكـــــره فيـــا ليتـــه يـــدري بأنـــي صـــادق
قـــرُبَ المحـــبُ مـــن الحبيـــب الوامـــق مـــن بعـــد مـــا فتـــك الفـــراق بعاشـــق
يرعـــى الكواكـــب فـــي ظـــلام ســـرمدٍ مـــا فيـــه مسرى للخيـــال الطـــارق
فـــالآن قـــد ثنـــتِ النـــوى أعناقهـــا ودنـــا مـــن الأوطـــان كـــل مفـــارق[1]

وقال أيضاً:-

صـــار الـــى الموصـــل ينـــوي أمـــرا فمـــلأ البـــرَ معـــاً والبحـــرا
وكـــــبَسَ اللصـــــوص والأفـــــراد وأمـــــنَ الـــــبلاد والعبـــــادا
وجزعـــــتْ مـــــن خوفِـــــهِ الفراعنـــــة وأصـــــبحت ســـــفن التجارأمنـــــة؛
وكـــان فـــي دجلـــة ألـــف ماصـــرٍ لـــم يُعنهـــا إلا جنـــاحُ طـــائرِ[2]

٢. الوضع الاقتصادي:

اثناء وجود الخليفة المعتضد بالله في الموصل في مطلع سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م امر ان تكتب الكتب الى جميع العمال في الامصار الاسلامية بترك افتتاح جباية ضريبة الخراج والذي يسمى "نيروز العجم" والذي عادة يبدأ بحلول النيروز من السنة الفارسية (الاول من آذار) وتأخيره إلى الحادي عشر من حزيران من كل سنة، باستثناء مصر حيث بقيت على جبايتها على الحساب القبطي وبلاد الشام على الحساب الرومي[3].

وهنالك سؤال يطرح لماذا كتب وأمر في هذا وهو في الموصل، الحقيقة المصادر لم تسعفنا عن ذلك، ولكن من خلال الاحداث يمكن معرفة الآتي، الاول هو ان صادف وجوده في الموصل مع بداية السنة وقرب موعد جباية الخراج، والثاني يبدو ان اهل الموصل قد نبهوه الى ذلك واشتكوا اليه واخبروه بحجم الاضرار التي تصيبهم لان المحصول الزراعي لم ينضج بعد خاصة وان اراضي الموصل ديمية ومنطقة زراعية واسعة واغلب اهلها من الفلاحين، وتعد واحدة

---

(١) ديوان ابن المعتز : ١/ ٣٦٤-٣٦٥؛ للمزيد انظر : غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري، ص ١٨٣ وما بعدها.

(٢) ديوان ابن المعتز: ١/ ٤١٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٣٩/١٠؛ أحمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، الهجري، ص ١٠٧.

من اهم مدن الدولة العربية الاسلامية في انتاج الحنطة والشعير، وضريبة الخراج في معظمها على الحنطة والشعير والمحاصيل الاخرى(1).

ومشكلة موعد جباية الخراج كانت من المشاكل التي يعاني منها الفلاحون منذ بداية العصر الاسلامي واستمرت الى العصر العباسي، واول من اراد ان يغير هذا الموعد هو الخليفة العباسي المتوكل على الله الذي بينما كان يطوف في متصيد له رأى زرعاً لم يدرك بعد ولم يستحصد بعد، فقال استأذنني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر فمن أين يعطي الناس الخراج؟ فقيل له أن هذا الامر قد أضر بالناس فهم يقترضون ويتسلفون وينجلون عن اراضيهم، وكثرت شكاياتهم فقال : هذا شيء أحدث في أيامي أم لم يزل كذلك؟ فقيل له بل هو جارٍ ويعود سبب ذلك إلى أن موسم الجباية يبدأ بحلول النيروز من السنة الفارسية.

ونظراً لمنع العرب كبس السنين باعتباره من النسيء الذي نهى الاسلام عنه فقد صار النيروز يتقدم سنة بعد أخرى، فأمر الخليفة المتوكل على الله إبراهيم بن العباس الصولي وكان على ديوان الخراج ان يجعل للجباية موعداً غير متغير وينشيء كتاباً إلى بلدان المملكة في تأخير موسم الجباية، وقد عزم الخليفة تأخيره إلى اليوم السابع عشر من حزيران من السنة الشمسية الا انه اغتيل قبل تنفيذ هذا القرار سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م على يد الاتراك(2).

وبقي الموعد القديم الى ان جاء الخليفة المعتضد بالله فغيره من اجل مساعدة الفلاحين وساد الرخاء وفرح الفلاحون بذلك، وقد مدح الشاعر ابن المعتز هذا القرار الذي رفع الظلم عن الناس بارجوزة رائعة جاء فيها:

تـــأخيره النـــوروز والخراجـــا ... ولـــو أرادوا أخـــذه لراجـــا
تـــكرماً منـــه وجـــوداً شـــاملاً ... وحـــزم تـــدبير وحكمـــاً عـــادلاً
وعهـدنا بكـل مـن مـن كـان ملـي ... مســتأدياً والــزرع لــم يســنبلِ
فــكم وكــم مــن رجــل نبيــل ... ذي مركــبٍ وهيبــةٍ جليــلِ
رأيتـــهُ يقتبـــلُ بـــالأعوان ... الــى الحبــوسِ وإلــى الــديوانِ(3)

(1) المصدر نفسه : ١٠/ ٣٩-٤٠.

(2) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب : ٢/ ١٩٢؛ أحمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، ص ١٠٧.

(3) ديوان ابن المعتز: ١/ ٤١٤-٤١٥.

٣. الاجراءات الادارية:

من أجل بسط السيطرة على الموصل وأقليم الجزيرة نلاحظ ان الخليفة اختار ولاة وقادة جيش على المنطقة من الذين يتمتعون بكفاءة ونفوذ وقبول لدى اهل الموصل ومن ابرزهم:

١. محمد بن يحيى المجروح (ت بعد ٢٧٩هـ/٨٩٢م):

في سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م عينه الخليفة المعتضد بالله والياً على الموصل بدلاً من محمد بن اسحاق بن كنداج والذي طلب اهل الموصل من الخليفة عزله، وقابله قبل وصول محمد بن اسحاق بن كنداج الذي كان معه جيش كبير، وفعلاً دخل المدينة قبله وحكمها اقل من سنة ثم عزله الخليفة[١].

٢. علي ين داود بن رهزاد الكردي (ت بعد ٢٧٩هـ/٨٩٢م):

قائد عسكري في العصر العباسي من ولاة الموصل كردي الاصل، ولاه الخليفة المعتضد سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م الموصل خلفاً للوالي محمد بن يحيى المجروح وفي ولايته كثرت غارات الشيبانيين على الموصل مما اضطره الخليفة المعتضد لمحاربتهم بنفسه كما ورد في الصفحات السابقة[٢].

٣. بكتمر بن طاشتمر (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) :

عينه الخليفة المعتضد بالله اميراً على الموصل بعد سنة ٢٧٦هـ/٨٩٢م، غضب عليه الخليفة سنة ٢٨٢هـ وهي السنة التي زار فيها الموصل فقُبض عليه وقُيد وحبس[٣].

٤. اسحاق بن ايوب بن احمد التغلبي العدوي (ت ٢٨٧هـ/٩٠٠م):

يرجع نسبه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو من ولاة الموصل، وأمير من قواد الدولة العباسية استقر في عهد الخليفة المعتضد بالله اميراً على ديار ربيعة حتى وفاته[٤].

---

(١) ابن الاثير الكامل: ٢٤/٦؛ الجلبي، الموسوعة: ٤٦٥/١.

(٢) ابن الاثير، الكامل: ٧٢/٦-٧٣؛ الجلبي، الموسوعة: ٢٠٧/٢.

(٣) ابن خلدون: ٧٣٣/٦؛ الجلبي، الموسوعة: ١٦٥/١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٥٧٣/٩؛ المسعودي، مروج الذهب: ٢٦٥/٤؛ الزركلي الاعلام: ٢٩٤/١؛ بسام الجلبي، موسوعة اعلام الموصل: ١٣٧/١.

٥. محمد بن ديوداد، محمد بن ابي الساج (ت ٢٨٨هـ/٩٠٠م):

المعروف بأفشين، قائد عسكري وسياسي في العصر العباسي، كان من المتسلطين على الموصل كان العامل السياسي على ديار مضر من ارض الجزيرة، اتفق سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م مع والي الموصل اسحاق بن كنداج على استرجاع بلاد الشام من الطولونيين بمعاونة الامير ابو العباس احمد بن الموفق (الخليفة المعتضد بالله)[١].

٦. الحسن بن علي بن كوره الخرساني (ت ٢٨٩ه،/٩٠١م):

ولاه الخليفة المعتضد الموصل في سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م وامره بمحاربة الخوارج بقيادة هارون بن عبدالله الشاري البجلي (ت ٢٨٣هـ/٨٩٦م)، فسار اليهم الحسن وقاتلهم عند الزاب، وفقد كثيراً من مقاتليه، واستطاع هزيمتهم[٢].

---

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٥٩-٢٦٩؛ الجلبي، الموسوعة، ٢/ ١٢١.

(٢) ابن الاثير، الكامل : ٦/ ٧٩؛ الجلبي، الموسوعة : ١/ ٢٠٩.

المصادر والمراجع

أولاً. المصادر الأولية:

- ابن الأثير، عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد "ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م"
١. الكامل في التاريخ، (١٢) جزءاً، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت: ١٩٦٥).
- الازدي: ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم "ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م".
٢. تاريخ الموصل، تحقيق: د. علي صبيحة (القاهرة: ١٩٦٧).
- البخاري: ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة "ت ٢٧٩هـ/٩٨٢م".
٣. صحيح البخاري (٩) أجزاء، مطبعة علي صبيح واولاده (القاهرة: د/ت).
- التهانوي : محمد بن علي القاضي محمد بن حامد "ت ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م"
٤. موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف (كشاف اصطلاحات الفنون)، (٦) اجزاء، (بيروت: ١٩٦٦).
- ابن الجوزي: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن جعفر "ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م"
٥. المنتظم في اخبار الملوك والامم (بغداد : ١٩٩٠).
- الخطيب البغدادي: الحافظ ابو بكر احمد بن علي "ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م"
٦. تاريخ بغداد (١٤) جزءاً، دار الكتاب العربي "بيروت: د/ت"
- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي "ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م"
٧. العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاثير، مؤسسة جمال (بيروت: ١٩٧٩).
- ابن خياط: ابو عمرو خليفة بن خياط بن شباب العصفري "ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م"
٨. تاريخ خليفة بن خياط (٢) جزءاً، تحقيق: أكرم ضياء الدين العمري، الطبعة الاولى مطبعة الاداب (النجف الاشرف: ١٩٧٦).
- الذهبي: شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان "ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م"
٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤) أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاري، الطبعة الاولى، دار احياء الكتب العربية (القاهرة: ١٩٦٣).
- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر "ت ٩١١هـ/١٥٠٥م".
١٠. تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة منير مكتبة الشرق الجديد (بغداد: ١٩٨٦).
- الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير "ت ٣١٠هـ/٩٢٢م".
١١. تاريخ الرسل والملوك (١٠) اجزاء، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف (القاهرة: ١٩٦٦).

- ابن العماد الحنبلي: ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي "ت ١٠٨٩هـ/١٩٧٨م.
١٢.شذرات الذهب في اخبار من ذهب (٤) مجلدات، دار الكتب العلمية (بيروت: د/ت).
- الكندي: يعقوب بن اسحاق بن الكيت "ت نحو ٢٦٠هـ/٨٥٨م"
١٣.كتاب الولاة القضاة: تصحيح: من كت، مطبعة الأدباء اليسوعيين (بيروت: ١٩٠٨).
- المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين "ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م"
١٤.مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤) أجزاء، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية (بيروت: ١٩٨٨) الطبعة الرابعة، دار الاندلس (بيروت: ١٩٨١).
- ابن المعتز: ابو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هاروم الرشيد "ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م".
١٥.ديوان ابن المعتز (٢) جزء، شرح: مجيد طرّاد، دار الكتاب العربي، الطبعة الاولى (بيروت: ١٩٩٥).
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن احمد الانصاري "ت ٧١١هـ/١٣١١م".
١٦.لسان العرب: دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت: ١٩٥٥-١٩٥٦).
- ابن النديم: ابو يعقوب محمد بن اسحق "ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م".
١٧.الفهرست: دار المعرفة (بيروت: ١٩٧٨).
- ياقوت الحموي: ابو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي "ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م".
١٨.معجم البلدان: (٥) أجزاء، دار صادر، دار بيروت (بيروت: ١٩٥٥).
- اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن حرهب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م).
١٩.تاريخ اليعقوبي (٣) اجزاء، دار صادر، دار بيروت (بيروت: ١٩٩٠).

ثانياً. المراجع الحديثة:

- الجبوري، احمد اسماعيل عبدالله
٢٠.علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الاول ١٣٢-٢٤٧هـ/٧٤٩-٨٦١م، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل: ١٩٩٧).
٢١.العراق في الفترة من ٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٨٤م، دراسة في الاوضاع الاقتصادية، رسالة ماجستير غير منشورة. (جامعة الموصل: ١٩٨٧).
- الجلبي، بسام ادريس، (جامعة الموصل: ١٩٨٧).
٢٢.موسوعة اعلام الموصل، جزءان، كلية الحدباء الجامعة (موصل: ٢٠٠٤).
- الديوه جي، سعيد.

٢٣.تاريخ الموصل (٢) جزء، دار الكتب للطباعة والنشر (موصل: ٢٠٠١).

- الزركلي، خير الدين

٢٤.الاعلام (١١) جزءاً، الطبعة الثالثة (بيروت: ١٩٦٩).

- شاكر، محمود.

٢٥.خلفاء العصر العباسي الثاني.

- عبد الباقي، أحمد

٢٦.معالم الحضارة العربية الاسلامية في القرن الثالث الهجري، الطبعة الاولى، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت : ١٩٩١).

- فوزي، فاروق عمر.

٢٧.الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، الطبعة الاولى، مطبعة دار السلام (بغداد: ١٩٧٤).

٢٨.نشأة الحركات الدينية السياسية في الاسلام، دراسة تاريخية، الطبعة الاولى (عمّان: ١٩٩٩).

- كاتبي، غيداء خزنة.

٢٩.الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري، الطبعة الثالثة (بيروت: د/ت).

- مصطفى، شاكر.

٣٠.دولة بني العباس (٢) جزء، الطبعة الاولى، مطبعة خالد بن الوليد (دمشق: ١٩٧٣).

- نوري، موفق سالم.

٣١.العلاقات العباسية البيزنطية ١٣٢-٢٤٧هـ/٧٥٠-٨٦١م، دراسة سياسية حضارية، الطبعة الاولى، وزارة الثقافة والاعلام (بغداد: ١٩٩٠).